التآليف العراقية

في مطلع هذا العام «١»

بقلم : عبد الحميد الدجيلي

لكل دور من أدوار المجتمع ظاهرة او ظواهر لها علاقة بها وأسبابها ، وقد مرت في العراق أدوار وبدت ظواهر تتصل عللها بتيارات البلاد وأوضاعها الثقافية والسياسية ، ومن تلك الظواهر هذه الظاهرة الجديدة عندنا اليوم هي كثرة المؤلفات وتنوعها ولاسيما في الناحية الأدبية والتاريخية فانت أينما تتوجه وعلى أي مكتبة تقف تر هذه الكتب المتنوعة في الأدب والشعر والقصص والتاريخ والدين والقانون وبقية الأنواع الثقافية والفنية . ولاشك أنها ظاهرة مسرّة دالة على هذا التحفز والتوثب والطموح وانها نتيجة لهذه الثقافة الجديدة المتغلغلة في البلد والتي أخذت تباشيرها تظهر في هذه الوجهة النافعة وانها لما تستحق الرعاية والاهتمام . وقد حاولت أن أتقرى هذه المؤلفات المختلفة والتي أخرجتها المطابع العراقية في مطلع هذا العام الجاري فكدت أتعب فيما حاولت لكثرة هذه المنتجات العلمية والأدبية التي وصلت الى نيف وعشرين مؤلفاً ومترجماً في فنون وعلوم شتى ، فمن ذلك كتاب ابي حيان التوحيدي ، ورسالة ابي جعفر النقيب ، وتاريخ كربلاء ، والثورة الصناعية والجزء الرابع من تاريخ العراق بين احتلالين ، وكتاب سعد صالح ونظرات في الريف العراقي ، وفصول مطوية من تاريخ العراق الحديث ، وكتاب ضرغى « مجموعة أقاصيص » ، وذكريات طالب في برلين ، وكتاب أمير الحرب ، وكتاب سيدات البلاط العباسي ، وهمس الأيام ، وديوان الأستاذ الجواهري ، والسيد طالب الحيدري ، وعدنان الراوي ، وغير ذلك مما يطول عده ، لذلك لا أستطيع إلا ان أقصر كلامي على بعض هذه الكتب والدواوين فمن هذه الكتب :

كتاب ابي حيان التوحيدي للاستاذ عبد الرزاق محي الدين الذي نال به درجة ماجستير من كلية الآداب في القاهرة وقد أجاد المؤلف في تنسيق هذا الكتاب وحبكه فجاء قوي البيان ، جيد السبك ، رائع المعاني ، شاملا في أبحاثه عن هذا الأديب العباسي ، وفيه أبحاث طريفة لم يطرقها غير المؤلف ، فقد شرح علاقاته مع ابن عباد ، وابن سعدان ، وابن العميد ، وجملة من الأمراء والوزراء الذين اتصل بهم شرحا وافياً ، وكشف لنا صفحات مطوية عن هذا الأديب المهمل حلل بها علة مخاصمة الناس لأبي حيان ومخاصمته لهم ونوّه بجملة كتبه الخطية وأماكنها وأهمية أبحاثها ، ولولا هذه الأدلة المدخولة التي جاء بها المؤلف في الدفاع عن اتهام أبي حيان بالوضع والعقيدة لكان الكتاب من أحسن كتب الموسم .

ومما صدر كتابان للدكتور البحاثة مصطفى جواد أولهما كتاب « ابي جعفر النقيب » وابو جعفر هذا من أكابر العلماء والأدباء الذين عاشوا بين القرن السادس والسابع من الهجرة ولد في البصرة عام ٥٤٨ هـ من بيت عريق في الشرف والعلم ، وبعد أن نشأ ودرس وذاع صيته وانتشر اسمه حتى أصبح مقربا لدى الخلفاء والوزراء ، وصار حميا ملازما للخليفة الناصر وترك البصرة مجاوراً له في بغداد حتى توفي عام ٦١٣ هـ وقد بحث الدكتور في رسالته هذه بحثا مسهبا عن حياة الرجل وعلومه سواء في الكلام أم الآراء الدينية الاصلاحية ، أم الشعر وبقية الفنون الأدبية فجاءت ترجمته دقيقة وافية في اسلوب واضح وبيان جزل .

وثاني الكتابين « سيدات البلاط العباسي » وهو من أجل وأظرف الكتب التي الفت في هذه الفترة ، بحث فيه بحثا لذيذاً جديداً وبطريقة الحكايات القصصية الأدبية وشرح أثره هذه السيدات اللاتي كن المتنفذات في البلاط العباسي والمشرفات على كثيرة من شؤون الدولة واللاعبات أدواراً فعالة في توجيه رجالها . ابتدأ حكايته في السفاح وانهاه بالمستعصم وولي عهده ، فحوى كثيراً من غرائب التاريخ ونوادر النكت وأسرار حياة اولئك الخلفاء ودخائل نفوسهم

« ١ » أذيع هذا الحديث مسجلا من محطة الشرق الأدنى يوم ٢٥/٤/٥٠ .

وجاء الكتاب على خلاف عادة الدكتور في تعقيداته اللفظية وغرائبه الكلامية ، جاء سهلا في بيانه منسجما في جمله طريفا في اسلوبه القصصي بديعا في معانيه كما جاء أيضا على خلاف عادته خاليا من المراجع والمصادر التي استقى منها بحثه .

ومما صدر الجزء الرابع من تاريخ العراق بين احتلالين للاستاذ العزاوي وهو جزء من سلسلة أجزاء متعاقبة آخرها هذا الجزء المهم في تاريخ فترة عزيزة المراجع ابتدأ فيه سنة ٩٤١هـ وانتهى ١٠٤٨ هجـ ذاكراً أهم الحوادث والأوضاع السياسية والاجتماعيـة والصلات التي كانت بين العراق والأقطار المجاورة ، والتشكيلات الادارية والثقافية في العراق ، وأوضاع العشائر والأقوام ، والفرق الدينية وأثر اولئك الأقوام في تغلغل الحكم العثماني في البلاد ، وألحق هذا الجزء بفهارس نافعة ورسوم تاريخية نادرة . ومن أطرف الأبحاث التي ذكرها بحثه عن الامارات التي كانت في العراق وحواليه قبل الفتح العثماني وفي أيامه وعلى عادة المؤلف في أجزائه المتقدمة ذكر أهم المصادر العربية والتركية والفارسية التي راجعها وكنا نتمنى ان يطلع الاستاذ على المصادر الغربية لسياح الافرنج أمثال نيبور الدانمركي ، وديلافالا الايطالي وتافرنيه الفرنسي ممن جاسوا خلال هذه الديار في هذه الفترة وكتبوا عن شؤونها ومما صدر كتاب تاريخ كربلاء للدكتور عبد الجواد الكليدار في تاريخ هذه المدينة وآثارها الدينية وما انتابها من محن وفتن ، وما قام به ملوك الاسلام وأكابر رجاله من تعمير ، وقد حقق الدكتور جملة من حوادث هذه البلدة تحقيقاً ضافياً وشرح كثيراً من النقاط التاريخية الغامضة مبتدءً بالعصر الأموي ومنتهياً بوقتنا هذا ومن المؤسف أن يكون في الكتاب كثير من الاوهام النحوية واللغوية كما فيه آراء أغرب فيها المؤلف كتعـدد حادثة المتوكل العباسي ونحوها مما لا يتفق معه رجال التاريخ ومن الكتب المفيدة التي صدرت « فصول من تاريخ العراق الحـديث » للكاتبة الانكليزية « مس بيل » السكرتيرة الشرقية في دار السفارة البريطانية ببغداد والمؤلفة المعروفـة باطلاعها على الشؤون العربية عامة والعراقية خاصة فجاء كتابها هذا من الكتب التي لا يستغني عنها من يريد أن يعرف الكثير من أوضاع الدولة العراقية ورجالها وتياراتها الفكرية عند تأسيسها ، وقد أحسن الاستاذ جعفر الخياط في ترجمة ستة فصول من هذا الكتاب مزينة بالصور والمناظر التاريخية في بزة جميـلة واسلوب سهل واضح ، وكان الأحرى به أن يترجم الفصول العشرة للكتاب لأنه خير مرجع في تاريخ هذه الفترة في العراق .

ومما صدر كتاب « سعد » للاستاذ السيد محمد علي كمال الدين في ترجمة معالي السيد سعد صالح الزعيم العراقي المعروف ، والمؤلف ممن صاحبه منذ صباه حتى وفاته في العام الماضي فجاء الكتاب حاويا لتاريخ فترة طويلة عن حياته والاوضاع التي مرت عليه وتعرض المؤلف لأبحاث مهمة ولذيذة عن مبدء النهضة الفكرية وأطوارها في أواخر الحكم العثماني وأوائل الحكم الوطني في العراق أبحاث تدفع الى الطموح والتحفز والصمود في وجه كوارث الحياة ونكباتها .

ومن الكتب المهمة « نظرات في اصلاح الريف العراقي » للأستاذ عبد الرزاق الهلالي ، والهلالي من الشباب المثقف الذي سبق له ان عالج بعض المواضيع في رسائل بديعة وآخر رسالة له هذا الكتاب القيم الذي بحث فيـه بحثاً واسعاً أحوال الريف العراقي وما يتعلق به من نواح صحية وزراعية وتعليمية وإدارية ومن مشاكل الري والأراضي والتغذية والهجرة والأنظمة القائمة بين العشائر والعادات العرفية المضطربة وما شاكل ذلك من أمور أجهـد المؤلف نفسه في تعقيبها وقد جاء كتابه هذا حاويا لكل ما يحتاجـه الباحث عن أحوال الريف العراقي وساكنيه وأوضاعهم الاجتماعيـة .

وقد صدر أيضاً كتابان ترجما عن الألمانية . أحـدهما الدكتـور جابر عمر شرح فيه مؤلفـه كثيراً من غرائب الحوادث والأخبار التي وقعت أثناء هذه الحرب الكونيـة الاخيرة في اسلوب واضح وعرض لذيذ ، وثانيهما للدكتور عبد الحميد الهلالي شرح فيه مؤلفه الألماني « فرانس هالدر » كثيراً من أغلاط قادة الحرب الالمانيـة وكثيراً من

الحوادث والاوضاع العسكرية التي سيرت الحرب الاخيرة الى نهايتها المعروفة . والمؤلف يعتني بالناحية العسكرية أكثر من غيرها لهذا جاء كتابه نافعاً للعسكريين ولذيذاً للمتعقبين لحوادث وغرائب هذه الحرب الاخيرة . ومما صدر في موضوع القصص كتابان أحدهما « صرخى » للأستاذ محمود الحبيب وثانيهما « همس الايام » للسيد عبد الله نيازي ، والكتابان متقاربان في أهداف قصصها اللاتي ترمي الى شرح أوضاع شتى من الحياة الاجتماعية في العراق وتحليل كثير من أدوائنا المتأصلة فينا ، ومتقاربان في اسلوبهما القصصي وخيالهما وعاطفتهما المتفقة . واذا كان كتاب القصة في العراق لا يزال الكثير منهم متأخراً عن زملائه الغربيين في عمق الفكرة وتعمق الهدف ومفاجأة القارئ مفاجأة عنيفة وفي سبك الاسلوب وترابط الحلقات فلا يعني ان كتابنا في حكاياتهم غير ملتهبي الشعور والاحساس وغير جيدي المغزى فقصة « المرأة المنتحرة » و « امرأة للايجار » و « مصرع فنان » ونحوها مما جاءت في قصص هذين الكاتبين من أحسن المواضيع في الوصف وافاضة الشعور وما هذه القصص وأمثالها إلا تباشير بطلائع الفن القصصي في أدب العراق الحديث . ومما صدر عدة دواوين شعرية أولها ديوان الاستاذ الجواهري والكلام عن شعر الجواهري لا موجب فيه للاطالة فقد أصبح شعر هذا الشاعر مفخرة من مفاخر الادب العربي الحديث جمع بين الجزالة والصقل والابداع وقوة الحجة وسطوة البلاغة ، وقد سبق للأستاذ ان نشر قبل هذا ديوانين مستقلين من شعره أما هذا الجزء من سلسلة اجزاء أربعة عزم الشاعر على إصدارها متعاقبة فقد حوى جملة من شعره الذي قاله متأخراً في احوال شتى . وثاني الدواوين ديوان الشاب الاديب السيد طالب الحيدري جمع فيه قصائد مختلفة في اغراض اجتماعية وغيرها ، وأحسن ما قيل عنه كلمة الأستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي أثناء مقدمة الديوان قال فيها « . . . هذه مجموعة لطيفة من الشعر العراقي الحديث وبهذا النوع من الشعر المطبوع مميزاته فهو يختلف عن الشعر القديم لانه ترجمان عاطفة صادقة بل هو عبارة عن شعور صحيح ودعوة يدعوك بها الشعراء الى ترسم سبل الحق والصلاح ، ومن مميزاته أنه سجل أحداث وديوان أفراح وأتراح ومسرات واحزان لأحوال المجتمع وشؤون الأمة . . » أما الديوان الثالث فللشاب الناهض السيد عدنان الراوي وشعره كشعر زميله الحيدري في حماسة الشباب وعزة النفس ونقد المجتمع وهو أمثل شعر للشباب المتدفق حمية وميلا للخير والاصلاح ، ونرجوا أن يستكمل هذان الشاعران ملكة رفيعة في الشعر القريب العاجل ليتجنبا ماوقعا فيه من الاوهام اللغوية والنحوية والعروضية .

وآخر ما صدر كتاب « الثورة الصناعية » وهو فصل واسع طويل من كتاب تأريخ أوربا للاستاذ المؤرخ المعاصر « كارلتون هيز » تطرق فيه الى تأريخ الثورة الصناعية وبحث الدور التمهيدي والعوامل المسببة لها من مخترعات صناعية واكتشافات معدنية وزيتية وتطور هذه الحركة الصناعية وأثرها ، والكتاب دقيق في وصفه وتحليله . ولاشك ان مكتبتنا العربية في أشد الحاجة الى مثل هذه الابحاث القيمة لأنها مما تساعد على فهم الحضارة الأوربية والحضارة الحديثة . فيشكر المترجم الاستاذ أحمد عبد الباقي على ترجمته هذه الدقيقة المتقنة .

حميد الجبلي

أكرم الوتري

موعد

تشدو وافقي عابس مرعد في أذني بالغم الشيق
يا أملاً في خاطري يشرد طفى بي اليأس ولم تغرق
قد كان بالأمس لنا موعد وقد مضى الأمس ولم نلتق
الليل والنجم به يشهد والوردة الحمراء في المفرق

* * *

سنلتقي مهما أطلا النوى ماذا تريد اليوم منا الشجون ؟
سنلتقي يوماً إذا ما ذوى غصني وأحنت منكبيك السنون
ومات في النفس لهيب الجوى إلا سهاداً ظل فوق الجبين
وان ترى في ناظري الهوى اذا بدا في ناظريك الحنين